

جمالية الخطاب الشعري في ديوان "جائحة كورونا"
قراءة في أسئلة الخطابات الاستعارية والكنائية

محفوظ زاوش

em.zaouche@univ-blida2.dz

جامعة البليدة 2

تاريخ النشر 2025/04/01	تاريخ القبول 2025/03/01	تاريخ الإرسال 2025/02/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص

شكّلت الجوائح التي مرّت بها الإنسانية محطاتٍ هامةً في مواكبة الأدب لكلّ التحوّلات؛ كونها تهدّدُ كيانَ الإنسان والمجتمعات، فتنشُبُ أظافرَ التّوحُّش، وتُعمِلُ آلةَ الإفناء، فتفوحُ رائحةُ الموت في الرّبيع، وتتركُ أزماّتٍ لا حصرَ لها، لا شكَّ في أنّ تأثيراتها النّفسيةَ أعظمُ أثرا على الإنسان، لكنّها رغم ذلك تُشكِّلُ ثيمات يستثمرها الأدبُ فيخلّدُ بها صراعَ الإنسان ضدّ مُعوّقات الحياة.

ولعلّ عريضةَ جائحة "كورونا covid19" مؤخرا حرّكت الأدبَ والفنَّ إلى جانب العلم والتكنولوجيا الحديثة بحثا في طبيعتها وأسرارِ استشرائها وقوّة فتكها، سعيا لحصارها ودخّر أخطارها، فتضافرت الجهود وتوحّدت الخطابات فجعلت حياةَ الإنسانية هدفها الأول، فكانت رسالة الفنّ تعضدُ قوّة العلم، فكّم من قصيدة أعادت الأملَ لنفوسٍ هدّها الألم! أو شحذت - فيمّن أنهكهم الوباء - الهمم!.

تأتي هذه الدراسة الموسومة "جمالية الخطاب الشعري في ديوان جائحة كورونا. قراءة في أسئلة الخطابات الاستعارية والكنائية" لتبحث في المنجز الأدبي المواكب لجائحة "كورونا" لتسلط الضوء على أسئلة الخطابات الاستعارية والكنائية، وما تحمله من أبعاد فكرية وجمالية، إذ انتقلت للمقاربة أحد المتجزات التي برزت في الساحة الأدبية الجزائرية؛ ونقصد (ديوان جائحة الزمان) الذي اشترك في تأليفه مجموعة من شعراء الجزائر.

الكلمات المفتاحية: أدب الجائحة، الخطاب الاستعاري، الخطاب الكنائي، جائحة الزمان.

ABSTRACT

The pandemics, experienced by humanity, were important stations that goes with literature for all the transformations because they threaten the existence of Man and communities, the nails of savagery break out, the machine of Annihilation works, the smell of death spread in the spring, and leave countless crises, there is no doubt that their psychological effects are the greatest impact on man, but they, nevertheless, constitute themes invested in literature and etersmalize the struggle of man against the obstacles of life.

Perhaps the tyranny of the " Corona" pandemic, recently, has moved literature and art along with science and modern technology in search of its nature and the secrets of its discovery, and the strength of its lethality, in order to blockade and defeat the dangers, concerted efforts

and United speeches made human life its first goal, the message of art was to support the power of science, how many poems revealed hope painful souls! Or, the ones who are sick of it.

This study comes consider the literary achievement of the "corona" pandemic to highlight the questions of metaphorical and lyrical discourses, and its intellectual and aesthetic dimensions, as it was selected for the approach one of the achievements that emerged in the Algerian literary arena and we mean (the Office of the pandemic of time), which was co-authored by a group of Algerian poets.

Key words: pandemic literature, lyrical discourse, metaphorical discourse, the Office of the pandemic of the time.

مقدمة

شهد العالم في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين وباءً عابراً للقارات، لم تسلم منه البشرية على اختلاف جغرافيتها، ولم تفلح فيها المنظومات الصحية لمختلف الدّول الصناعيّة في إيجاد العلاج المناسب له، إنّّه وباء كورونا أو covid19 هذا الوباء النّادر الذي تحدّى التكنولوجيات الحديثة من خلال ما يشهده من تحورات مختلفة تجعل العلاجات المتوصّلة إليها تفسّل في محاصرة انتشاره، فتغوّل بسرعة انتشاره وفعل آلّة الفتك فنشر الرّعب في الأوساط البشرية، ولعلّ الوباء الوحيد الذي وحدّ البشرية جمعاء في سعي حثيث منها لإيجاد العلاجات الأنجع، فتضافرت الجهود وتحالفت المنظومات الصحية، وتقاربت المشاعر وتعاطفت القلوب مع ضحايا الجائحة، ولم تنحصر قوى

الدِّفاع في الهيئات الصّحية والسياسية فقط؛ بل كان للأقلام المبدعة دورها في ساحة المعركة؛ توجيهها وتوعية، تصويرا وتجسيدا لهول الكارثة، رفعا لدرجات الحيلة وتخفيفا من وقع المصيبة، فأسهم كلُّ مبدع على طريقته وأسلوبه.

إنَّ السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان بعيدا عن التّشخيص العلمي والدّور الريادي للمنظومات الصّحية هو: ما مدى مواكبة الأدب للتّغيرات الطّائرة على المجتمعات الإنسانية؟ هل التزم المبدع برسائلته الإنسانية الفنّية في مجابهة تحدّيات هذا الوباء؟ وما آليات التّشكيل التي اتّكأ عليها الأدب لتجسيد قوّة هذه الجائحة والتّأريخ لها فنّيا؟ هذه التّساؤلات وغيرها دفعتنا إلى دراسة الإبداعات الشعريّة المصاحبة لجائحة كورونا في الجزائر، والبحث في خطاباتها المتنوّعة، فركّزت قراءتها النّاقدة على أسئلة الخطابات الاستعارية والكنائية وإبراز جمالياتها الفنّية من خلال ديوان شعري جامع لإبداعات شعراء جزائريين موازاة مع استمرار الوباء بتحوّراته المختلفة، لذلك وُسمت الدراسة "جمالية الخطاب الشعري في ديوان "جائحة كورونا". قراءة في أسئلة الخطابات الاستعارية والكنائية"، وهي تستهدف البحث في طبيعة هذه الأسئلة ومرجعياتها، ومدى قدرة الخطاب الشعري على استجلاء الواقع من خلال الأساليب الاستعارية والكنائية، واستغلال إمكاناتها الجمالية للمزاوجة بين الفن والواقع، من أجل أداء رسالة الفنّ الهادفة والخالدة في الآن نفسه، ولم يتكئ البحث على دراسات سابقة لكونها شحيحة في هذا الميدان، خاصة الدّراسات القارئة لإبداع الخطابات الشعريّة في هذه المرحلة، وقد استدعت الدّراسة الاتّكاء على المنهج الأسلوبى بوجه خاص، والانفتاح على نظريات القراءة والتّلقّي من منظور تداولي، قصد تأويل الدّلالات في إطار سياقاتها الواقعية ومراميها الفكرية وأبعادها الفنّية.

موجز الكلام عن ديوان جائحة الزّمان

بدأ مشروع هذا الديوان من فكرة مقترحة من الأستاذ "الطاهر يحيايوي" على منصات التواصل الاجتماعي مواكبة لاستشراء خطر وباء كورونا، فاستجاب بعض الشعراء لهذه الدّعوة، من مبدأ رسالة الإنسانية دعماً لجهود الجميع في مجابهة الخطر الزّاحف، إيماناً بأنّ الكلمة الصادقة تكافح بطاقتها الفنيّة؛ فترفع من مستوى الوعي الاجتماعي والإنساني، وتخفّف من وقع الصّدمة نتيجة تزايد الوفيات وتدفع إلى التّضامن والتّكافل بكل الوسائل المتاحة، فقد تكفّل الأستاذ الطاهر يحيايوي بمسؤولية الإعداد والإشراف، وقدم للديوان كلّ من الدكتورة ليلى لعوير بمعية الدكتورة سامية غشير، «جاء هذا الديوان بأشكال مختلفة، عبرت عن مواضيع متنوعة، المحور فيها جميعها هو "كورونا" وجع الإنسانية الذي حَجَرَ على الإنسان»¹، يتضمّن الديوان ثلاثين قصيدة أبدعها واحد وعشرون شاعراً، وقد استوعب الديوان كلّ الأشكال الإبداعية العمودية الكلاسيكية والمتحررة المعاصرة بمختلف أنماطها التعبيرية، فتح مصراعيه للشّعراء الجزائريين البارزين والشّباب المغمورين، فجأت أقلامهم بتنوعات تجسّد عظمة الألم، وتصوّر شراسته، تسعى لدفع الضّرر النّاتج عن روح الاستسلام في مقاومة آثاره على صحّة الفرد، فترفع المعنويات من خلال نزعة التّفاؤل التي تطغى على كثير من القصائد. رغم أنّ القصيدة بنّت لحظة الحَجَر الصّحي. دون أن تُغفل الجانب الجمالي في الخطاب الشعري العابر للحدود.

1. أسلوب الخطاب الاستعاري. من جماليات البلاغة إلى فضاغة الفاجعة.

إنّ الأسلوب الاستعاري «لطالما كان مقصد الشعراء إلى براعة الإحياء تجديدًا وترميزًا، أصالة وأداء، تماثلاً وتقابلاً، وهي جميعاً تفاعلات وتنافرات؛ تشي بسحر

الخيال، وروعة الجمال الشعري، طاقتان تعبيريتان تنشدان رونق الأسلوب وجماله في فضاء يلُقه الابتكار والطرافة؛ بوصفهما عصب الانزياح وبراعته»²، أمّا الاستعارة فهي «ضربٌ من المجاز الذي يتأسس على فلسفة المشابهة والمشروط بنمط من القرائن اللفظية والعقلية التي تعدل بالكلام عن مساره الحقيقي نحو الدلالة المجازية على جهة النقل فإنّها تتوفر على إمكانات ثرّة تُتيح فهم أدبية الخطاب في كليّته وشموليته»³، فهي بنية أسلوبية ترتقي بالفكرة فنيا لبلوغ الغاية التأثيرية والهدف المتوخى من الخطاب.

يحتفي الخطاب الأدبي عامة منذ القديم بالاستعارة لأنّها «أفضل المجاز وأوّل أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها»⁴، وقد حظيت في الدّراسات اللّسانية بكثير عناية باعتبارها تتشكّل من دالٍّ ينشطر إلى مدلولين اثنين، إذ الأول يعبر عن المعنى الظاهر من خلال ملفوظاته، وأمّا الآخر فهو المعنى العميق الذي يستتر خلف تلك الملفوظات، ولعل الاستعارة أكثر الصّور البيانية بلاغة لخصوصيتها التركيبية والانزياحية الفنّية، فقد انتقلت في الدّراسات الحداثيّة من التّركيز على المنتج (المرسل) إلى المتلقي، ومن البيئة اللّغوية إلى المؤوّل الذي يستدعي خبراته ووعيه بالسياقات المرتبطة بالبنية اللّغوية، حتى يُدرك المعنى العميق الذي هو غاية الخطاب الاستعاري.

تلتبس هذه الدّراسة البحث في الخطاب الشعري وأسئلته الاستعارية التي حفل بها ديوان "جائحة الزمان" رغم الظروف المحيطة بحالة الإبداع؛ نتيجة ظروف الحجر الصّحي المفروض على الجميع، واتّسع دائرة المصابين بوباء كورونا(2020م)، وارتفاع أرقام الضّحايا، ممّا ولّد حالة من الذّعر، لا شكّ في أنّها

تنعكس سلبا على طبيعة الإبداع وفلسفاته، ورؤى الشعراء وحالاتهم الشعورية المضطربة.

1.1. أسئلة الخطاب الاستعاري وجمالياته عند الشاعر أحمد بهناس في قصيدة "الذكر دواء"

إنَّ قصيدة "الذكر دواء" خطاب شعري يحيل إلى سينية "أحمد شوقي" التي مطلعها (اختلاف الليل والنهار ينسي) فتخال الشاعر يعارض أمير الشعراء، وقد تكون موسيقى تلك القصيدة أنسب للحالة الشعورية التي يعيشها الشعب الجزائري على غرار شعوب العالم، إذ طغى الخطاب الانزياحي على القصيدة التي تفيض بمشاعر الحسرة والأسى، فالشاعر لم يذكر المخاطب المحور في القصيدة بلفظه الصريح أي وباء كورونا، فنراه يتساءل عن حقيقته؛ هل هو غضب أم جحيم أم شوك في الهجير...، يقول في مطلع قصيدته:

أنت أدري الوري يمكنون نفسي	أي شيء تراه يا شعري نسي
أم فضاء دحي ومن دون شمس	غضب هو؟ أم جحيم؟ أموت؟
أم هو الشوك في الهجير وحس	أم خريف؟ وجائحات توالى
يتخفى بداجيات ونحس ⁵	هو يا شعركل ذاك ولكن

فالبنية اللغوية (يتخفى بداجيات ونحس) تتضمن تكثيفا دلاليا واقتصادا تركيبيا وانزياحا لغويا، فقد صار الغضب، الجحيم، الخريف... كائنا وهو (يتخفى)، إذ استعار الشاعر صفة التخفي من الإنسان ونسبها إلى تلك الموصوفات التي تعود إلى المكى عنه (الوباء الصادم الظالم) وحين ينسب لكل منها صفة التخفي يستحضر المتلقي ما يصاحب هذا الفعل البشري من سلوكات

المكر، الانتهازية والعدوانية، إذ يدعّم هذا التّوجه في التّلقّي البنيات اللّغوية المصاحبة (بداجيات ونحس) ولولا هذه الملفوظات لانفتح مجال التّلقّي إلى ما يمكن أن يُحيل إليه ملفوظ (التّخفّي) من إيجابية، وعليه توطر هذه الملفوظات مجال التّلقّي، فتتشكّل الصّورة الدّهنية من ملفوظ (التّخفّي) مقتربا (الدّجى، التّحس) ممّا يجعل الصّورة الشّعريّة الاستعارية تُصبّغ بالصّبغة السّلبية، فالشّاعر ألبسَ المعنويّ ثوب المادي، بل شخّصه في صورة إنسان، فجمايلية هذا التشكيل الاستعاري تبرز في تصوير حدّة الخطر الذي يشكّله الوباء الذي يهجم بغتة، فينال من فرائسه البشريّة التي تقف عاجزة عن مواجهته؛ لأنّها محاطة بعدوّين، أحدهما هذا التّنازل المفترس، والآخر هو الزمن الذي نزل فيه (دجى الليل)؛ الذي يعدّ سلاحا يضاعف من حالة الذعر والرّهبة، كلّ ذلك يحرك عواطف المتلقّي ويقحمه في فضاءات النّص.

إنّ مثل هذا التّصوير الاستعاري يدفع المتلقّي إلى استحضار مشاهد الرّهبة والخوف التي تختزن في ذاكرة الأنا، وما تحفل به الحياة الشّعورية، فيلتمس المواصفات و يعقد المقارنات، ممّا يكسب هذا الأسلوب الاستعاري جاذبية المتلقّي ويكون محطة استذكار قبل مواصلة رحلة التّلقّي المعقدة الماتعة، يقول الشاعر:

ما أمر الكفاح دون عدوّ ظاهر الجنّد والعتاد بحمّس⁶

إنّ الوباء عند الشّاعر عدوّ تجب مقاومته ومجاربته لردّ خطره، ولعلّ المحارب حين يلاقي عدوّه المعتدي على أرضه أو عرضه يجد لذة في المقاومة تُشعره بقيمته وقيمة المدافع عنه، فيكتب تاريخه المشرق، وخلاف ذلك جعل الشّاعر الكفاح مرّاً في الشّاهد لعدم بروز العدو، إذ نقل حقيقته المعنوية إلى التّجسيد المادي

لكل ما مِنْ طبيعته المرارة كالحنظل، في انزياح أسلوبِي يميل عن طبيعة الكفاح، لنقل الصّورة الدّهنية؛ التي قد تبدو ضبابية لدى المتلقي، إلى صورة واقعية يُدرك المتلقي حقيقتها، فالبنية اللغوية (ما أمرّ الكفاح) التي تعدّ تصويراً استعارياً هي أيضاً أسلوبٌ تعجب، يدفع المتلقي إلى البحث في سرّ الاستغراب، أي أنّ التركيب الاستعاري ليس جوهر الخطاب وغايته، فدراسة التركيب الاستعاري معزولاً عن علاقاته بباقي البنى اللغوية لا يحقق الغاية الفكرية أو الأبعاد النفسية بصورة شاملة مُكتملة، ذلك أنّ الدّراسات الحداثيّة للاستعارة قد أخذت منحى جديداً يُراعي أطراف التّلقي والانسجام العلائقي للبنى والمكونات النّصية في إطار السّياق النّصي، «فللاستعارة وظيفة فنّية تعبيرية تفاعلية ثقافية، تواصلية، فكرية، سيميولوجية..»⁷، وعليه فتصوير الكفاح ذا طعم مُرّ يعود إلى اختفاء العدو وعدم ظهور عتاده الحربي مضافاً إليهما انعدام الحماس الحربي، وكأنّ المرء يحارب وهمّاً لا أثر له ولا خطر، ففي الصّورة الشّعريّة حديث عن الوباء الذي لا يظهر في صورة معروفة للبشر وخاصة أهل الاختصاص؛ تسهّل من عملية متابعته وكشف أسرارهِ وحصارهِ علاجياً، فالعلاقات التي أحدثها الشّاعر بين مختلف البنى المُشكّلة للأسلوب الاستعاري تستدعي تجزئة التّركيب ثم إعادة ربط الجزء بالنظام الكلّي ليكتمل المشهد، ممّا يزيد من جمالية التّصوير وُبُعد التّأويل.

2.1. سؤال القلق الوجودي في الخطاب الاستعاري قصيدة "رحماك ربّ"

للشاعر "الطاهر بوصبع"

قصيدة "رحماك رب" التي تبرز عتبتها الأولى حالة الضّعف والعجز التي تستوجب اللّجوء إلى الله تبدو مغرّيةً للمتلقي، لأنّها تستثير عاطفة الشّفقة، ولعلّ تأطيرها

ضمن الديوان هو ما يحدّد مسارات التّلقي، لكنّه لا يجلي الصّورة بوضوح، ذلك أنّ خطاباتهما الانزياحية تحتاج إلى وقفات فاحصة، خاصة وأنّ مطلعها محاكاةً لنونية "ابن زيدون" المعروفة (أضحى التناي بديلاً من تدانينا)، يقول الشاعر:

أضحى البعدُ بديلاً من تلاقينا	واستحكم الشّوق للأحباب يسبيننا
ما عاد يجمعنا فرح ولا قرح	مُدّ حلّ مُندفعاً فيروس كورونا
خصمٌ خفيّ أثار النفس مُمتشيقاً	سيفَ المنايا وأرزاء تُدانينا
وانثالَ حزنٌ على الأرجاء مُكتسحاً	كُلّ المدائن، لا ينفكُ يغزونا
هاج الوباء فصار الكلُّ مضطرباً	لا شيء يُهرنا، لا شيء يُغرينا ⁸

يتضمّن الخطابُ الشعري إبراز التّغيرات الحاصلة في العلاقات الاجتماعية، في محاكاة بارزة من المطالع لنونية "ابن زيدون"، فقد فرض الوباء التّبعاد الاجتماعي، الأمر الذي جعل الشّاعر يلجأ إلى الانزياح الأسلوبی، لأنّه الأنسب لتصوير الانزياح في العلاقات نتيجة الحَجَر الصّحي، ومما ورد من الأساليب الاستعارية (استحكم الشّوق للأحباب يسبيننا) فقد تحوّل المعنوي (الشّوق) إلى سيّدٍ قويّ له سلطة على غيره فهو (يستحكم، يسبي) «إذ يمنح التّشخيص بمعناه التّقدي أو الأسلوبی صفات الحركة والفعل، من حيث كونه يقدّم الأفكار والخواطر والعواطف في قالب حركي حيّ، تستحيل بموجبه الحواجز بين المعنويات المجردة والمتحركة ملغاة»⁹، فالبنية الفعلية المنسوبة إلى (الشّوق) تكاد تُلغي معنى الشّوق من شدته، ليُحيل المرسل قارئه على الصّور السّلبية خاصة الفعل (يسبي) وما يزر به من حمولة معنوية سلبية،

هذه الاستعارات التشخيصية لا تبلغ غايتها إلا في إطار المعنى الكلي الذي يربط
البيانات الاستعارية بباقي البنى السابقة واللاحقة، الأمر الذي يدفع المتلقي إلى
إعادة بناء المعنى، وهو هدف عظيم تنشده نظريات التلقي، ذلك أن الدراسات
الحداثية للاستعارة. إضافة إلى التركيب وغاية المرسل. تستهدف المتلقي.

وتسير الخطابات النصية على هذا المنحى الاستعاري التشخيصي، فقد تسلط
الوباء (فيروس كورونا) وأزاح بعض الثوابت، وثبت بعض المتزاح من ثقافة
الشعوب، ولعل التراكيب الاستعارية (أثار النفس، ممتشقا سيف المنايا، هاج
الوباء..) قد شحنت المعنوي بأفعال ينفرد بها الإنسان حيناً والحيوان حيناً آخر،
تبعث في النفس الرهبة، وتدعو إلى التعاطف مع ضحايا هذا الوباء، وجوهر
الخطابات الاستعارية السابقة يدفع المتلقي إلى التساؤل عن هوية هذا الداء
وهواه، وعن سر القوة التي منحته التسلط على البشرية، ومنحته سرعة
الانتشار وتجاوز الحدود، لعلها تساؤلات قرائية تتجاوز المستوى الفني الجمالي
لتغوص في البعد الفيزيائي والبيولوجي، مما يجعل حدود الخطاب الشعري
الاستعاري تتماهى مع حدود العلوم الأخرى، وينفتح الخطاب على التأويلات
العلمية إلى جانب البعد الأدبي وجمالياته، الأمر الذي يثير فضول البحث
والتقصي، إذ غدت القصيدة الحداثية عموماً من أدوات الثقافة والانفتاح على
العلوم والفنون؛ نظراً لتكائها على التاريخ والسياسة وغيرهما.

2: أسئلة الخطاب الكنائي في أدب الجائحة (قراءة في نماذج من ديوان
"جائحة الزمان")

1.2. الكناية

الكناية تركيب لغوي يتضمّن صورةً بلاغية، وقد عرّفها "عبد القاهر الجرجاني" بقوله: «أنّ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه»¹⁰، ففي اللفظ الظاهر الذي يُخفي معنى، أو يؤمى إليه، أو يرمز إليه، مع أنّ اللفظ الظاهر يمكن أن يكون مقصوداً لذاته، لكنّ السياق هو من يخرج من الدلالة اللغوية الظاهرة إلى المعنى الخفي، وتستخدم الكناية لغايات مختلفة «إنّها تستطيع أن تسمو بالمعنى، وترتفع بالشّعور إلى مستوى التعبير الفني والأداء الإيحائي الشفاف؛ الذي لا يثير المخيلة فحسب، ولكنه ينفذ إلى الذهن عن طريق الحسّ، فيصدمه أولاً بصورة المعطى الحسي التي هي صورٌ غير مقصودة، ثم يفجؤه بعد ذلك بما يخفيه هذا المعطى الحسي من دلالات نفسية وفكرية، وذلك بواسطة الإيماءات السريعة، واللمحة الخاطفة التي يتلقّفها العقل والشّعور مهورين ببهجة الاكتشاف ومسرّة المفاجأة»¹¹.

2.2. سؤال الحقيقة وحقيقة السؤال في مواجهة البواء: قراءة في قصيدة (يا كذبة العصر) للشاعر "عبد المالك قرين".

تأتي القصيدة ضمن سباعيات الشاعر في ديوان "جائحة الزمان" من بحر البسيط، يحمل عنوانها تساؤلاً ضمناً عن حقيقة هذا المنعوت بكذبة العصر، أهو النازل الغريب أم هو طرف آخر، ويغلب عليها خطاب الآخر غير المُصرّح به، لكنّه يبرز من خلال الأساليب الكنائية الطّاغية على هذا القسم من السباعيات، وقد افتتحت القصيدة بالتركيب الكنائي (ضاقت بك الأرض قاصيها ودانيها) الذي يتناص مع قوله تعالى: ﴿...وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...﴾¹² فالمتلقي يستحضر هذه الآية فتنتطبّع في ذاكرته قضية العجز أمام القوى القاهرة،

فتستحيل المسافات سِجنا ضيقاً، ولا ينفع معها فكر أو حيلٌ أو إمكانيات أخرى، هذا الافتتاح الكنائي يضع المتلقي أمام عتبة أولى هي الضعف الذي استحکم على الإنسان، ولا يكتفي الشاعر بهذا التركيب الكنائي فهو يدرك حيرة المتلقي، وطلبه الأكيد لما يُقنع بالانحصار الأرض في وجه المخاطب، لذلك يردف بتركيب كنائي آخر في عجز المطلع، إذ يقول:

ضاقَت بك الأرض قاصِمها ودانِها وأنتَ مَنْ كُنْتَ راعِها وبانِها¹³

تُحدِث المفارقة بين الضعف والقوة، مفارقةً كنائية تفتح باب التساؤل القرأني وتطرُق باب الحجاج الذي يزيل عتمة التّضاد الحاصل بين شطري الشّاهد الشعري، إذ المخاطب واحدٌ وقد استحالت قوّته ضعفاً، وجبروته وهنا وهباءً، لتتوالى الحجج في أساليب استعارية مُغرية للبحث في علاقاتها البنائية (ذَلَّلَتِها بعلوم، لا ترحم الأرض..)، هذا التّقابل المعنوي الذي تؤدّيه التّراكيب الانزياحية المفارقة يرفع من درجة جمالية المطلع وطاقاته الإغرائية في التّلقّي.

ومن الأساليب الكنائية قوله: (جهّزَت للحرب كلّ الرّاجمات) إذ تتراءى بعض صفات المخاطب الذي يملك من القوّة المادّية ما يجعله يسيطر على الأرض طولا وعرضا، فالأسلوب التّقريرِي يُبين عن صفة القوّة والجبروت من مدلول الملفوظات (جهّز، كلّ، الرّاجمات)، وملفوظ الرّاجمات يُكَيِّف عن موصوف جامع لوسائل الحرب القوية، لأنّ المراد لا ينحصر في أسلحة الرّجم وحدها بقدر ما يتضمّن في مدلوله القوّة العسكرية الرّهيبية، يقول :

جهّزَت للحرب كلّ الرّاجمات وهل قدكنت تدري...وماتدري مراميها¹⁴

وإذا كانت الكناية تقدّم الحقيقة مصحوبة بالدليل فإنّ هذا التركيب الكنائي يبرز خصوصيات هذا العصر ممّا يدفع إلى التّساؤل عن سرّ الكناية في صدر الشّاهد الأوّل (المطلع)، وتزداد حيرة المتلقي في التركيب (هذا سلاحك خردات تكدّسها) ليكسر أفق التلقي بالمفارقات بين الأساليب السّابقة واللاحقة، فعقدُ المشابهة - التي هي في المراد مقارنة - بين السّلاح والخردات من الأشياء يَعدُّ مكانة المشبّه ويضعف قوته، بل يُحقِّره، يقول:

هذا سلاحك خُرداتٌ تكدِّسها كِمَامَةُ القُطْنِ أَغْلَى مِنْ غَوَالِهَا¹⁵

وإذا كان هذا التركيب يتضمن تشبيهاً بليغاً (السّلاح خردات) فإنّ المقصود هو الكناية عن صفة التّحقير، فالصّورة المراد التّعبير عنها تنزاح عن المشابهة، وبتركيب هذه الكنايات يتشكّل حقل المفارقات الذي يزيد من جمالية التّصوير بتنوع مشاهدته الجزئية وصفاته التي ترسم حقيقة الموضوع، وتستفزّ مشاعر المتلقي.

وقد اختار الشّاعر أن تكون خاتمة السّباعية تحمل تصريحاً بمن قهر جبروت الإنسان المادي الصّناعي بأسلوب استعاري بديع (الفيروس كبّله) ليكون حجةً مؤكّدةً لانحصار الأرض في وجه الإنسان الذي كَتّى عن هويته بأسلوب نداء (يا كذبة العصر) إذ تمكّن الإنسان الغربي بصناعته وتكنولوجياه الرّهيبه من أن يفرض منطّقه على الأرض والإنسان، فارتسمت في الذاكرة الجمعية للشّعوب المغلوبة استحالةُ مواجهته، ممّا يدفع إلى التّسليم والموالة المطبقة، لكنّ الشّاعر يُعري حقيقته ويكشف عورته؛ التي كشفها فيروس حقيق، فيقول:

ماذا ستنفُجُ والفيروسُ كبّلهما ياكذبةُ العصر في أجلى معانيها؟¹⁷

إنَّ هذا التَّركيب الكُنائي الذي حوَّل الإنسان عن جنسه وجعله مجرد أكلوبة يتداولها الخصوم وعامة النَّاس بسخرية قد فتقَّ العقول وكشفَ المجهول، وسعى إلى أن يعود الإنسان إلى البحث في حقيقة العالم والأشياء، عسى أن يهتدي إلى من أوجَد الموجودات، ومنح الضَّعيف قوَّةً لا تُقهر، ولعلَّ الشَّاعر يستهدف هذه الفكرة ليحقق غاية التَّطهير من خلال التَّركيب بين الأساليب الاستعارية والكُنائية التي حفلت بها السَّباعية من خلال السَّياق الخارجي المعلن عنه في الديوان.

3.2. جمالية الأسلوب الكُنائي في مساءلة الذات وسؤال الرِّجاء

يُرجع كثيرٌ من النَّاس أسباب هذا البلاء الذي حلَّ بالبشرية إلى الفساد الذي أصبح سمة العصر، وإلى الدَّنوب التي يقترفها البشر، ومن خلال الديوان محل الدِّراسة يسيرُ بعض الشعراء في هذا الاتجاه، فمنهم من نظم قصائده يُعاتب فيها الضَّمير، ويجلدُ الذات الفاسدة، بينما حمل خطاب بعضهم الآخر تضرُّعاً إلى الله رغبةً في انقشاع ضباب الألم، وطمعا في الكرم الإلهي.

3.2.1. مساءلة الذات في قصيدة (تغيَّرنا إلى الأسوأ) للشاعرة "فاطمة الزَّهراء بوكتاب"

تقول الشاعرة فاطمة الزَّهراء بوكتاب:

تغيَّرنا ...

وضاع الشَّاطئ الأزرق

وضاعت رفقة الزَّورق

جراحُ العالم امتدّت

إلى الأعماق

كي نسهر... وكي نفرق¹⁸

يتضمن الخطاب الشعري تقريراً وإقراراً بانحراف الإنسان عن الفطرة السليمة، حيث جنى على نفسه وأفسد عالمه (تغيّرنا، ضاع الشاطئ الأزرق، ضاع رفقة الزورق) فالبنية الافتتاحية (تغيّرنا) بنية مفتوحة على التأويل، غير أنّ الأسطر الموالية تحدد مسار التحوّل، يتكرر ملفوظ الضياع ليُكَيّن عمّا فساد الإنسان، وقد أوردت الشاعرة عاقبة ذلك بتعابير كنائية تكّي عن صفة الفقد والخسارة لكل هو جميل، فاختارت الشاطئ الأزرق، إذ من مرموزاته الراحة والأمان، وخاصة إذا اقترن بزرقة مياهه، وتكثّف من دلالة المعنى بتكرار بنية التضييع، لكنّ الخسارة هذه المرّة أفدح، لأنّ الأمر يتعلق بالإنسان الرفيق، وقد نسجت الشاعرة علاقة عضوية بين التراكيب الكنائية ليبقى ذهن المتلقي متموضعا داخل المشهد الواحد بربط العلاقات بين الجزئيات، فإذا ضاع الشاطئ ضاع الزورق وفقدت الرفقة، وهنا يتفاعل المتلقي وتتحرّك مشاعر الحسرة والأسف، وهذه بعض الغايات المستهدفة من التعابير الكنائية، إذ «يستثمر التعبير الكنائي في البناء التواصل على وفق مقصدية مخصصة»¹⁹.

وترحل بنا الشاعرة في ثنايا الخطاب الشعري في رحلة المساءلة للذات وعتابها على ما تعيشه اليوم، وكأنّها تُحمّل كلّ ذات مسؤولية الواقع، من دون أن تُلَمَح إلى السياق الخارج نصّي (تأثيرات وباء كورونا) ممّا يجعل خطابها كتاباً مفتوحاً يُمكن أن يتناسب مع كثير من السياقات الواقعية للزمن المعاصر، فتجمع بين التراكيب

الانزياحية المتنوعة في تناغم شعري بديع؛ خاصة الاستعارة والكناية، ومن ذلك قولها:

تغيّرنا إلى الأسوأ

نسينا الله يا الأزرق

نسينا الحب

نسينا الصّدق

نسينا العشق

وتهنّا في بكاء الرّوح

وتُهنّا في جراح الرّوح²⁰

تتعالى نبرة العتاب المبطن في الخطاب الشعري للأنا الشاعرة، والأنا التي استوقفها النّازل الجديد الذي يعدّ في حقيقته الصّدمة التي تعيد للإنسان توازنه، من خلال البحث في ذاته، وفي الموجودات حوله، ومراجعة منطقته في الحياة (نسينا الله، نسينا الحبّ، الصّدق، العشق) وهي تراكيب كنائية عن صفات التّحول السّليبي للإنسان، تحرك الضمائر وتؤثر في القلوب، لإعادة بناء الذات بناء سليما.

2.3.2. سؤال الرجاء وخطاب التضرع (قصيدة سبحان ربّ) للشاعر عبد المالك قرين

تعد هذ القصيدة خامسة سباعيات الشّاعر في ديوان "جائحة الزّمان" تصوّر قدرة الله في الكون، وقد تكون إجابة عن بعض التساؤلات الحيّرى عن حقيقة هذا الوباء حسب رؤيا الشّاعر، فقد كشفت الجائحة عجز العلم الحديث عن الإحاطة بتحورات هذا الوباء وطريقة فتكه بضحاياه، وسرعة انتشاره، الأمر الذي جعل الشّاعر يتساءل في قائله:

ما أطلعَ الله ما في الغيب من أحدٍ يا مُدعي العلم فسّر ما بنا أجرى²¹
 إنّ المنادى في الشّاهد صفةٌ لكلّ من يدعي الإحاطة بالعلوم، وقدرته على تفسير الظواهر، وكشف أسرارها، وهذا الخطاب ليس مطلقاً في العموم على الجنس البشري جميعاً، فالتركيب الكنائي بالنظر إلى السّياقات القبلية والبعديّة يتضمن كناية عن موصوف مقصود لذاته، إنّ الغرب التكنولوجي الذي امتلك العالم باختراعاته ومنجزاته العلمية وتكنولوجياته الرقمية والعسكرية، ويتضمّن التركيب الكنائي ازدراءً وتحقيراً، لأنّ المتلقي يقف كذلك هذا الموقف انطلاقاً من السّياقات الخارج نصية التي يتردّد صداها مع تغوّل متحورات الوباء، وإذا كان التّأويل يطلب منا ما نحتاج به هنا، نجد الشّاعر يُورد تركيباً طلبياً يتضمّن تكتيّة عن التّحدّي الذي يثبت نقيض الحكم (فسّر ما بنا أجرى؟) ولعلّ القارئ يتوقف ليسائل نفسه قبل غيره حتى يستنتج الغاية من الخطاب، ولو عمد الشّاعر إلى التّعبير الحقيقي لكان مرور المتلقي سطحيّاً، غير أنّ الكنايات تستوقفه، وتستنطق وعيه وأفهامه، وتثير مشاعره، الأمر الذي يحقق الغايات التّفسية والإيديولوجية للخطاب الكنائي من خلال الأبعاد الجمالية للتراكيب الانزياحية.

ويورد الشاعر اعترافات الأنا الناطقة بالعجز عن إدراك سرِّ ما يحدث في الكون (نحن الجاهلون به) والإقرار بالمسؤولية البشرية (قد عصينا، كنّا نعتدي جهرا) والتّماذي في ارتكاب المعاصي والذنوب (رحنا نأمن المكر) وهي كناية عن صفة الغفلة وعدم الاعتبار من الحوادث السّابقة، ولعلّها تحرك ذهن المتلقي فيعود إلى قوله تعالى: ﴿..وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾²²، وهي غاية عظيمة تؤدّيها التّراكيب الكنائية في هذه السباعية الواعظة والمعاتبة لأنّنا الغافلة المذنبة، وتبرز بعض تساؤلات الخطاب الذي سيطر على ألسنة النّاس في هذه الجائحة، يقول الشاعر:

سبحانَ ربي إليه الأمرُ أجمعه يا واسعَ العفوِ أبدلْ عُسرنا يُسرا²³

لقد وجد الشاعر في اللّجوء إلى الله غايته وغاية المؤمن (يا واسع العفو) لطلب الرّحمة بأسلوب يتناص مع الذّكر الحكيم (أبدلْ عسرنا يسرا) التي تُكَيِّ عن الأمل في زوال الوباء وعودة الحياة إلى طبيعتها، وهي خاتمة السّباعية التي ينتهي عندها المتلقي فتقع من نفسه موقع التّسليم، إنّها النّهاية المثلى التي تجمع بين طبيعة الفكرة ومصادقيتها وجماليتها الأسلوبية.

لقد تضمّن نموذجاً الدّراسة السّابقيّن أسئلة الإنسان، والإنسان المؤمن على ما يشهده العالم حينذاك من استشرَاء الوباء غير المشهود، فيقرّان بمسؤولية الإنسان في ذلك، رغبةً في التّطهير وتحقيقاً لرسالة الشّعْر الهادفة في مثل هذه التّوازل، إذ يحمل الخطاب الشّعري سؤال الحاجة الدّائم للرّحمة الإلهية، إقراراً بضعف الإنسان.

خاتمة

وقفت الدّراسة عند بعض الخطابات الشّعريّة مستهدفةً أسئلة الخطاب الاستعاري والكنائي وجمالياتها من خلال قراءة في بعض النّماذج الشّعريّة؛ التي أُبدِعت تحت وحي جائحة كورونا، إذ خلصت الدّراسة إلى النّتائج الآتية:

*أُبدع هذا الديوان تحت تأثيرات جائحة كورونا منذ بداية ظهورها في (مارس 2020) ولعل استغلال وسائل التّواصل الاجتماعيّ يعدّ سابقة في تاريخ الأدب، لتأثيرها على الوعي الجمعي والحس الإنساني، إذ يعدّ الأدباء برفقة الأطباء ورجال الصّحة ممّن اضطلع بمهمة التّوجيه والدّعوة إلى التّكافل بين مختلف الطّبقات الاجتماعيّة.

*لقد حرّكت جائحة كورونا أقلام الشّعراء الجزائريين على اختلاف مشاربهم واختلاف أساليبهم التّعبيرية للتّصدّي إلى أخطار هذا الوباء، فتحملت مسؤولية التّوجيه والوعظ، للحدّ من الآثار السّلبية، التي يمكن أن تضاعف من أعداد الضّحايا (على غرار الالتزام بالحجر ووضّع الكمامات الطّبيّة ...).

*تحمّل أسئلة الخطاب الشّعري الاستعاري والكنائي في ديوان جائحة الزمان تنوعاً رؤيويّاً وأيديولوجيّاً وفكريّاً، ينطلق من قناعات الشّعراء وثقافتهم، وتجاربهم في معاشة الأزمات والجوائح، وقد تبدو بعض التجارب الشّعريّة سطحيّة غير ناضجة، لعل الطّروف المصاحبة للإبداع كانت صعبة في ظلّ تأثر الشّعراء بالفقد أو بتأثير الوباء على الأقارب والأهل، أو انعدام التّجربة في مثل هذا النّوع من الأدب.

*من أسئلة الخطاب الشّعري الانزياحي في الديوان سؤال البحث عن طبيعة هذا الوباء الذي أعجز العلوم الحديثة، ممّا خلق قلقاً وجودياً لدى بعض الشّعراء

على غرار عامة الناس، كما توجّهت بعض الخطابات الشعريّة إلى أسئلة التّعامل التّاضح مع الوضع الطّارئ، فكانت غايتها إنسانية في المقام الأول.

*يؤكد ديوان "جائحة الزمان" رسالة الشّعر الخالدة في الوقوف إلى جنب الإنسان في صراعه ضدّ القوى التي تغالبه وتسلب كرامته ووجوده، إذ قدّم خطاباتٍ شعريّة امتازت بجمالياتها المتنوّعة في التّعبير الفنّي عن الأسئلة المصاحبة للحالات الشعورية المضطّربة (بين الإيمان والاستسلام بين القوة، والضعف).

*تعدّ التّراكيب الاستعارية والكنائية في الديوان محلّ الدّراسة أبرز الأساليب الانزياحية التي اتخذها الشّعراء بنياتٍ أساسيةً في التّقرير والتّصوير، والوعظ والتّوجيه، إذ كان استخدامهما عن وعي ببلاغتها وجمالياتها في استنطاق الواقع، أو التّعبير عن رؤيا العالم من خلال هذه الجائحة.

. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر

1. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
2. ديوان جائحة الزّمان، تأليف مجموعة من الشعراء، إعداد وإشراف الطاهر يحيى، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الجزائر 2020.

2. المراجع

1. سهى فتحي نعجة: التّعابير الكنائية في العربية سيرورة وصيرورة، مجلة علوم اللّسان، جامعة عمارثليجي، الأغواط، مج 04، ع 1، 01-06-2015م.

2. عيكوس الأخضر: الصّورة الكنائية في القصيدة الجاهلية، مجلة الآداب جامعة منتوري قسنطينة، مج 04، ع 01، 1997م.
 3. فريدة بوسماحة، فهم الكلام الاستعاري، مجلة الآداب جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، مج 16، ع 01، 2016-12-23م.
 4. وردة بويران، نجاة ركي: الأسلوب الاستعاري بين الجاهزية والابتكار في ديوان أهديك أحزاني لياسين بن عبّيد مقارنة أسلوبية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي، مج 06، ع 04، ديسمبر 2021م.
-
- ¹ ديوان جائحة الزمان: مجموعة من الشعراء، إعداد الطاهر يحيوي، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الجزائر، 2020، ص (التقديم) 07.
 - ² وردة بويران، نجاة ركي: الأسلوب الاستعاري بين الجاهزية والابتكار في ديوان أهديك أحزاني لياسين بن عبّيد مقارنة أسلوبية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي، مج 06، ع 04، ديسمبر 2021م، ص 63.
 - ³ محي الدين صبيح: نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا الحالي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1984، ص 136.
 - ⁴ القيرواني ابن رشيقي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، م 1، دار الجيل للنشر، بيروت، ط 5، 1981، ص 268.
 - ⁵ أحمد بهناس: ديوان جائحة الزمان، ص 17.
 - ⁶ المصدر السابق: ص 17.
 - ⁷ فريدة بوسماحة، فهم الكلام الاستعاري، مجلة الآداب جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، مج 16، ع 01، 2016-12-23م، ص 11.
 - ⁸ الطاهر بوصيغ: ديوان جائحة الزمان، ص 53.
 - ⁹ وردة بويران، نجاة ركي، الأسلوب الاستعاري بين الجاهزية والابتكار، ص 65.
 - ¹⁰ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص 66.
 - ¹¹ عيكوس الأخضر: الصّورة الكنائية في القصيدة الجاهلية، مجلة الآداب جامعة منتوري قسنطينة، مج 04، ع 01، 1997م، ص 90.

-
- ¹² سورة التَّوْبَةِ، الآية 25.
- ¹³ عبد المالك قرين: ديوان جائحة الزَّمان، ص 22.
- ¹⁴ المصدر السابق، ص 22.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص 22.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص 22.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص 22.
- ¹⁸ فاطمة الزهراء بوكتاب: ديوان جائحة الزمان، ص 73.
- ¹⁹ سى فتحي نعجة: التعابير الكنائية في العربية سيرورة وصيرورة، مجلة علوم اللسان، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، مج 04، ع 1، 01-06-2015م، ص 36.
- ²⁰ فاطمة الزهراء بوكتاب: ديوان جائحة الزمان، ص 74.
- ²¹ عبد المالك قرين: ديوان جائحة الزمان، ص 23.
- ²² سورة الأنفال، الآية 30.
- ²³ عبد المالك قرين: ديوان جائحة الزمان، ص 23.